ربيع ... وربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قال لى صاحبى غداة رآنى   باكيا ، والربيع فوق الروابى
كيف تبكى وفى الوجود ربيع
شارق الكون من وراء السحاب ؟ !
وسرى فيه بهجة وغناء   وشباباً يضم روح الشباب
هو فى الزهر رقة وعبير   وخرير فى الجدول المنساب
وهو فى الأفق بسمة وصفاء   وانطلاق من أسر كل حجاب
وهو فى قلب كل عذراء حُلْمٌ   بحياة فى جنة الأحباب

أنت يا صاح بلبل ، فترنم   فى الروابى ، أو فى رحاب الفضاء
واقطف الزهر ، وانشم العطر ، واسكر
من رحيق الندى ، وخمر الضياء
زهرة فى الربيع — لو كنت تدرى —
هى خير من عالم فى الشتاء
قطرة الماء فى الربيع تراها   بهجة النفس ، وهى قطرة ماء !
لمة النور فى الربيع لها فى النفس رَجْعٌ كأعذب الأصداء !
ساحر ذلك الربيع المفدّى   مبدع للحياة والأحياء !

أنت فى رَيّق الشباب ، فلا تبـ   ـك ، فإن الشباب روح الحياة
وإذا لم يكن من الدمع بُدٌّ   فتذكَّرْ عهدَ المنى الفائتات
حين يأتى المشيب وهو خريف   تدرك النفس فيه سر الممات
سوف تبكى عند المشيب كما تجـ   ـهش نفس عميقة الحسرات
أو كروح قد أخطأت عالم النو   ر ، فهامت فى عالم الظلمات
لذة العمر فى الشباب ، فبادر   لذة العمر قبل يوم الفوات !

ليت شعرى : ما سر هذا البكاء   والأمانى نشوى بخمر الشتاء ؟
فالربيع الجميل لحن جميل   عزفته ملائك فى السماء
والصباح الوضىء لحن مضىء   تتراءى ظلاله فى السماء !
كل ما فى الحياة يعزف لحنا   من بهاء ورقة وصفاء
كل ما فى الحياة ينشر فى النفـ   ـس أريج المنى ، وعطر الرجاء
أنت تبكى ، وكل شىء يغنى !   ليت شعرى : ما سر هذا البكاء ؟

قلت : يا صاحبى بكيت لأنى   لم أجد فى الحياة أسباب أنسى !
الربيع الذى تراه ، بعيد   عن شعورى وعن ضميرى وحسى
والربيع الذى أريد ، بعيد   عن حياتى كأنه حلم أمسى
أنت لا تنظر الوجود بعينى   لا ... ولا تدرك الحياة بنفسى
رب شمس تشع فى الكون نوراً   حجبتها عنى سحائب يأسى !
وربيع يسقى الرحيق المصفّى   ما سقانى إلا مرارة كأسى !

لا تحدث عن الربيع ، فإنى   قد عرفت الربيع روحاً ومعنى
أنت لا تعرف الربيع إذا كنت   تراه زهراً ونهراً وغصنا
ليس روح الربيع ما تجد النفـ   ـسُ ، ولكنه الذى تتمنى
هو عند العشاق ليلة حب   طار فيها طير الهوى وتغنى
ووراء المنزّعون الحيارى   فى صحارى الحياة ، هديا وأمنا
خير ما فى الحياة أن تتمنى   فيُسِرُّ القلب دائماً أن يغنّى

إن تمنيتَ أن تعيش وحيداً   فى الصحارى ، أو فى أعالى الجبال
فهناك الربيع ... تبصره النفـ   ـس إذا حلقت وراء الأعالى
وهناك الربيع ... فى هدأة الليـ   ـل ، وهمس الربا ، وصمت الرمال
وانطلاق الحياة من عالم الحس ، إلى عالم الرؤى والخيال
واهتزاز الوجدان إذ يتلقى   من جمال الحياة سرَّ الجمال
خالد ذلك الربيع المرجّى   وربيع الأنام رهن الزوال

وإذا شئت أن تعيش مع النا   س ، وتلقى الربيع زهراً وعطرا
فاقطف الزهر ، واشمم العطر منه   واملأ الكأس من ندى الفجر خمرا
غير أن الزهر الجميل سيذوى   ثم يغدو فى باطن الأرض سرا !
وتجف الأوراق فى كل غصن   فترى الغصن ذاهلاً مصفرا !
هذه سُنَّةُ الحياة ، فلا تحـ   ـزن إذا أقبل الربيع ومرّا
كل ما ليس بالقباب سيمضى   ثم يأتى ، وهكذا مستمرا

لا تلمنى إذا أضعت ربيعى   فربيعى مكفن بالدموع !
ما غناء الربيع إن لم يُغَرِّ قلـ   ـبى وروحى ، ولم يهز ضلوعى ؟